المحاضرة رقم 12

عنوان المحاضرة: نقد النقد عند عبد الملك مرتاض.

مقدمة: خضع النقد الأدبي المعاصر لتحولات كبرى، أدت إلى ظهور نوع من الخطاب النقدي يجعل م ن النقد الأدبي نفسه موضوعا للدراسة والتحليل، ومن المسلم به أن النقد مرتبط بالإبداع ويقوم عليه، أما نقد النقد فإنه يقوم على دراسة النقد في حد ذاته تنظيرا وتطبيقا ومن الأسماء التي برزت في نقد النقد الـ ناقد عبد الملك مرتاض.

1/مجهودات عبد الملك مرتاض النقدية: ناقد وكاتب موسوعي تزيد عدد مؤلفاته عن القرم أربعين أغذ ت المكتبة العربية والجزائرية بالكثير، تعامل من خلالها مع الثقافة الغربية ومناهجها ببصيرة وذوق أصيـ ل، كما لم يستنكف عن توظيف واستحضار نصوص التراث العريق، وكما كان للثقافة الأجنبية دورها الكبير في مسار مرتاض النقدي ولكن مرجعية التراث الأدبي والنقدي العربيين كان لها حصة الأسد في توجيه هذا المسار، وكذا في فكره المجدد المحافظ، ومن أهم مؤلفاته:

- ✓ فن المقامات في الأدب العربي.
- ✓ نظام الخطاب القرآني.
- ✓ نظرية النص الأدبي.
- ✓ النص الأدبي من أين؟ وإلى أين؟
- ✓ دراسة سيميائية تفكيكية (أين ليلاي)
- ✓ **في نظرية النقد** : والذي يعرض فيه للنقد النقد بوصفه مرحلة متقدمة من مراحل الوعي النقدي، ويبـ رز فيه رؤيته التي تمزج بين التراث العربي والاتجاهات النقدية الحديثة، خاصة البنيوية والسيميائية.

2/لمحة عن كتاب في -نظرية النقد-: يعتبر كتاب – في نظرية النقد- لعبد الملك مرتاض مساهمة تنظيرية في النقد العربي المعاصر، ويبدو أنه جاء مصداقا لما كان يأمل فيه الباحث، وهو أن يسعفه الزمن بلحظات رخيات يدبج فيها شيئا مفصلا من النزاعات النقدية المعاصرة وجذورها الفلسفية العميقة" فمادة الكتاب وفصوله حصاد لما يزيد عن عشرة أعوام من البحث والتنقيح ، ومحاولة صياغة الكثير من الأجوبة لكثير من المساءلات في مجال النقد، وقضاياه ومدارسه ونظرياته... وغير ذلك، ويلمس القارئ ذلك مباشرة بمجرد الوقوف على عتبة عنوان المدونة ومن خلال تقديم الناقد لها نستطيع تلمس الداعي الأكبر لتأليف وتسطير ما جاء فيها.... فالكتاب إضافة إلى المكتبة النقدية العربية، ومساهمة إزاء إشكالية ندرة التنظير النقدي القح في الساحة العربية الراهنة، والمتميزة بكثرة النقاد وانعدام للنقد ونظريته؟....

فموضوع الكتاب هو متابعة لأهم المدارس النقدية المعاصرة ورصد نظرياتها بالبحث في أصولها وجذورها والغوص في مدى تلاقيها وتنائيها، وكذا علاقتها بالتراث النقدي العربي القديم – خاصة-، ويذكر عبد الملك مرتاض في تقديمه للكتاب أنه بحث في بعض الكتاب مسألتان مهمتان هما: البحث في الماهية التي تحكم النقد -الكتابة الثانية- خاصة بين النقاد التقليديين الغرب والنقاد الجدد، أما المسألة الأخرى والتي تمثل مصدر قلق الباحث فهي غياب المدرسة النقدية العربية المعاصرة رغم وفرة النقاد المرموقين ؟ ويتساءل الباحث: هل يرقى نقدنا المعاصر إلى مستوى النظرية؟ ومتى يعلو إلى درجة المدرسية؟

وكان للباحث قبل ذلك أن استهل – تقديمه للكتاب- بالتطرق إلى رباعية: القراءة، الكتابة، النقد، المستحيل، متمثلا القراءة كتابة وهي المجال الأول للنشاط النقدي تنظيرا وتطبيقا، والنقد عنده -كتابة ثانية حول الكتابة الأولى -الإبداع- والكتابة عنده تعد بمثابة مستحيل أو ممارسة للمستحيل والتماس للمجهول؟ ...وذلك أن الكتابة الأدبية – خصوصا- تنهض على سحر اللغة التي تقوم على شرود المعاني، وتبحث عن الحقيقة في المجهول ...وهنا تبدو حيرة الناقد وتساؤلاته المتعددة، فهل الكتابة مجرد مستحيل ؟ وهل اللغة وحدها أمست في تمثل الكتاب الجدد هي الحقيقة ولا شيء غيرها؟ يقول عبد الملك مرتاض ربما كان ذلك، وربما لم يكن كيف يطمح الطامحون إلى تقنين الأدبية ومفهومها

زئبقي عويص الماهية، ويطمحون في معالجته بالمناهج وتناوله في إطار التيارات الفكرية والفلسفية والإيديولوجية، ابتغاء تطويعه للاستعمال وطمعا في تأويله للمتلقيين ؟ يقول الباحث كل هذه الأسئلة هنا" وإن كتاب في **نظرية النقد** عدة نقدية منهجية تحوي رؤى وتصورا وتنظيرا وسنعرض أهم ما جاء فيه في إطار نقد النقد.

3/ ملامح نقد النقد عند عبد الملك مرتاض:

* **تعريف نقد النقد:** يرى أن نقد النقد قديم يرجع إلى السابقة Meta ذات الأصل الإغريقي والذي يعني التعاقب والتغيير والمشاركة في حين أنها تعني في الفلسفة والعلوم الإنسانية –ما وراء– ، وكما انتقد التر جمات العربية للمصطلح ويقدم البدائل والمقترحات، وكما يتساءل عبد الملك مرتاض كيف أن تودروف سمى كتابه critique de la critique وعدل عما كان من المفروض أن يستعمله وهو Métacritiqu e فيقول: ونحن في الحقيقة نتساءل عن العلة التي حملت تودروف على أن يتنكب في استعماله عما ك ان من يفترض أن يستعمله Métacritique الجاري في استعمالاتهم اللغوية الجديدة كقولهم Métalan gage ولعل العجمة البلغارية هي التي نأت به عن استعمال ما يستعمله القوم في الفرنسية الجديدة." وي ستعرض الناقد مجهودات العلماء المسلمين القدامى في مجال المصطلح وطريقة وضعه، وبعد أن ذكر مصطلح نقد النقد عند الغرب وعند علماء العرب والفلاسفة المسلمين وما هو مفهومه و وظيفته وعلاقت ه بالنقد اختار أربع تجارب في نقد النقد إثنتان في النقد العربي، والآخريان في النقد الغربي

***تجربة نقد النقد عند علي بن عبد العزيز الجرجاني:** من خلال عرضه لنص له من خلال كتابه الو ساطة بين المتنبي وخصومه فالجرجاني اجتهد في إثبات نظرية مخالفة لما كان سائدا حول قضية السرق ات فتكلم عن توارد الخواطر وأن هناك أفكار مشتركة بين الأدباء ولا يجوز اتهامهم بالسرقة في هذا " و نحن نرى أن كتابة الجرجاني النقدية من هذه الزاوية كانت ممارسة متقدمة في التبشير بنظرية التناص، التي لم تتبلور في الفكر النقدي الغربي الجديد، إلا في أواخر القرن العشرين"

* **نقد النقد في تجربة طه حسين:** تجلى ذلك في أعمال كثيرة التي انصبت معظمها على الكتابات المصرية ... والذي يعود إلى كتابات –طه حسين النقدية– خارج أعماله الإبداعية التي تراوحت بين النقد ونقد النقد .

* **نقد النقد عند رولان بارث:** يرى بأنه مارس أنشطة نقدية كثيرة ولكنه لم يتكلف إطلاق مصطلح نقد النقد على ما كتب أصلا ويتمثل ذالك في **جملة من المقالات النقدية** ولا سيما: **النقدان الاثنان، وما النقد**، حيث أثار مسألة النقد الايديولوجي في المقالة الأولى القائم على التأويل ويعتمد على الفلسفة الوجودية.

***نقد النقد لدى تودروف:** أول من اصطنع مصطلح نقد النقد ومنحه الإطار المنهجي، ورسخ له الأسس المعرفية وذلك في كتابه نقد النقد ولقد تناول فيه قضايا نقدية عالمية ...ولم يكن يريد أن ينتقد مذهبا نقديا بعينه ...ولكنه كان بصدد تقديم رؤية شاملة، أو واسعة الأبعاد على الأقل ....فتناول الشكلانية والبنيوية والوجودية والواقعية، ومعظم التيارات النقدية ...من الشكلانيين الروس إلى بنوية رولان بارث لكن ذلك لم يكن إلا على المستوى النظري وأما على مستوى الواقع فإننا نجده يبدي شيئا من المعارضة الشديدة لكل مذهب نقدي ينتقد الشكلانية الروسية أو يتجانف عن البنيوية الفرنسية.

***متابعة لأهم المدارس النقدية المعاصرة ورصد لنظرياتها:** فقد عرفت الساحة النقدية في الجزائر نشاطا منقطعا النظير، تبنته كوكبة من النقاد والدارسين في محاولة منهم للإسهام في حقل النقد العربي تنظيرا وتأصيلا.

* **النقد والخلفيات الفلسفية:** يؤكد عبد الملك مرتاض في هذا الصدد أن المذاهب النقدية في مجملها تقوم على أصول فلسفية، بينما لا نكاد نجد مذهبا نقديا يقوم على أصول نفسه وذلك لأن" الأدب ليس معرفة علمية مؤسسة تنهض على المنطق الصارم، والبرهنة العلمية ولكنه معرفة أدبية جمالية أساسها الخيال والإنشاء قبل أي شيء أخر.